

مُتَبَرِّرُونَ بِالْإِيمَانِ وَحَدَهُ  
المحاضرة ٨: نَتَائِجُ التَّبَرِيرِ  
أ.ر. سي. سبرول

أحيانًا، كما نَعْلَمُونَ، في أَثْنَاءِ تَنَاوُلِنَا لِقَضَايَا لَاهُوتِيَّةٍ، مِنَ الْجِدِّ طَرَحُ سُؤَالٍ بَسِيطٍ مِثْلِ "مَاذَا فِي ذَلِكَ؟" أَوْ "مَا الْمَشْكَلَةُ الْكَبِيرَةُ؟" لِمَاذَا هَذَا بَالِغُ الْأَهْمِيَّةِ؟ لَكِنْ عِنْدَمَا نَتَمَعَّنُ فِي عَقِيدَةِ التَّبَرِيرِ وَنَطْرَحُ سُؤَالَ "مَاذَا فِي ذَلِكَ؟" نَحْنُ نَسْأَلُ عَنِ مَعْرَى تَبَرِيرِنَا أَوْ نَتَائِجِهِ؟ مَا مَدَى أَهْمِيَّةِ التَّبَرِيرِ لَنَا؟ وَمَا النَتَائِجُ الْمُتَرْتَبَةُ عَلَيْهِ؟ فَبُولُسُ يَسْتَهْلُ الْأَصْحَاحَ الْخَامِسَ مِنْ رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةَ بِهَذَا السُّؤَالِ. إِذْ قَدْ أَنْهَى الْأَصْحَاحَ ٤ بِالِاسْتِنْتَاجَاتِ الَّتِي اسْتَخْلَصَهَا مِنْ مِثَالِ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ: "لِذَلِكَ أَيْضًا: حُسْبَ لَهُ بَرًّا"، ثُمَّ فِي الْآيَةِ ٢٣ مِنَ الْأَصْحَاحِ ذَاتِهِ "وَلَكِنْ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ أَجْلِهِ وَحَدَهُ أَنَّهُ حُسْبَ لَهُ، بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا، الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا، الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الْأَمْوَاتِ، الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لِأَجْلِ تَبَرِيرِنَا".

فَبَعْدَمَا كَتَبَ الرَّسُولُ ذَلِكَ، يُوَصِّلُ اسْتِنْتَاجَهُ لِيَقُولَ: "فَإِذْ". لِيَعْلَمَ، كُلَّمَا تَمُرُّونَ بِحَرْفِ "إِذْ" وَمُرَادِفَاتِهِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، عَلَيْكُمْ بِالتَّوَقُّفِ وَمُلاحِظَةِ أَنَّ مَا نُشِيرُ إِلَيْهِ حُرُوفُ الرِّبْطِ الْاسْتِنْتَاجِيَّةِ هُوَ اقْتِرَابٌ وَصُولٌ إِلَى اسْتِنْتَاجٍ حُجَّةٍ أَوْ تَعْلِيمٍ لَهُ بَعْضُ الْأَهْمِيَّةِ. وَلِهَذَا تُعْجِبُنِي الْأَصْحَاحَاتُ الَّتِي تَبْدَأُ بِحَرْفِ "إِذْ" وَمُرَادِفَاتِهِ لِأَنَّهَا تَعْتَمِدُ عَلَى كُلِّ مَا جَاءَ قَبْلَهَا لِلِإِشَارَةِ إِلَى الْاسْتِنْتَاجِ التَّالِي. وَلَكِنْ عَلَى آيَةِ حَالٍ، فَأَيُّ مَنْ قَسَمَ الرِّسَالَةَ قَدْ بَدَأَ الْأَصْحَاحَ الْخَامِسَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ: "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ"، أَيُّ أَنَّ تَبَرِيرِنَا بِالْإِيمَانِ أَمْرٌ وَقَعَ الْآنَ؛ أَمْرٌ قَدْ حَدَثَ فِعْلًا. فَهُوَ حَدَثٌ تَمَّ فِي الْمَاضِي. وَبِمَا أَنَّ هَذَا الْحَدَثَ قَدْ تَمَّ فِي الْمَاضِي، فَمَاذَا يَعْنِي هَذَا لِلْحَاضِرِ؟ يَقُولُ بُولُسُ: "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" وَأَنَا سَأَتَوَقَّفُ عِنْدَ مُنْتَصَفِ هَذِهِ الْآيَةِ حَيْثُ يُعَدُّ السَّلَامُ مَعَ اللَّهِ أَوَّلَ نَتَائِجِ تَبَرِيرِنَا.

فَبُولُسُ وَكُتَّابُ آخَرُونَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ يُصَيِّغُونَ ذَلِكَ بِلُغَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ وَقْتِ لِآخَرَ. وَمِنْ أَهَمِّ الْمَفَاهِيمِ الْمُتَرْتَبَةِ بِفِكْرَةِ السَّلَامِ مَعَ اللَّهِ هُوَ مَفْهُومُ الْمَصَالِحَةِ. وَالشَّيْءُ الْمُهْمُّ لِلْعَايَةِ مِنْ أَجْلِ الْمَصَالِحَةِ، الَّذِي بِدُونِهِ يَسْتَحِيلُ تَحْقِيقُهَا، هُوَ الْإِنْفِصَالُ. فَالْأَشْخَاصُ غَيْرُ الْمُتَفَصِّلِينَ لِيَسُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَصَالِحَةِ، وَمِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ الْمَصَالِحَةِ لَا بَدَّ وَأَنْ يَقَعَ نَوْعٌ مِنَ الْإِنْفِصَالِ، نَوْعٌ مِنَ الْاِغْتِرَابِ الَّذِي يَتَطَلَّبُ الْمَصَالِحَةَ. يُوضِّحُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ أَنَّهُ فِي حَالَةِ سُقُوطِنَا الطَّبِيعِيَّةِ نَحْنُ فِي عَدَاوَةٍ مَعَ اللَّهِ، وَأَنَّ حَالَتَنَا الطَّبِيعِيَّةِ هِيَ حَالَةُ اِغْتِرَابٍ عَنْهُ. فَتَحْنُ لَا نُرِيدُهُ فِي أَذْهَانِنَا. وَلَا نُرِيدُهُ أَنْ يَمْلِكَ عَلَيْنَا. نُرِيدُ التَّخَلُّصَ مِنْهُ.

مُنذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ، طَلِبَ مِنِّي إِقْفَاءَ مُحَاضَرَةٍ فِي كُتَيْبَةٍ مَا تَضُمُّ نَادِيًا لِلْمُحَلِّدِينَ، وَطَلَبُوا مِنِّي الحُضُورَ وَالْقَاءَ مُحَاضَرَةٍ، مِنْ مَنظُورِ دِفَاعِيٍّ، فِي نَادِيِ الْمُحَلِّدِينَ هَذَا، وَفِعْلًا لَبَيْتُ الدَّعْوَةَ. أَخْبَرْتُهُمْ فِي تِلْكَ الْمُحَاضَرَةِ أَنِّي عَلَى اسْتِعْدَادٍ تَامٍ لِمُحَاوَلَةِ مُجَابَاةِ اعْتِرَاضَاتِهِمْ الْفِكْرِيَّةِ عَلَى حَقَائِقِ الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ وَالتَّأَكِيدِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ. لَكِنِّي قُلْتُ أَيْضًا: "أُرِيدُكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا خَلْفِيَّتِي. سَأَجْرِي هَذَا الْحِوَارَ مَعَكُمْ مَعَ افْتِنَاعِي بِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ بِوُجُودِ اللَّهِ وَأَنَّ مُشْكَلَتَكُمْ لَيْسَتْ فِكْرِيَّةً بَلْ أَخْلَاقِيَّةً. مُشْكَلَتُكُمْ لَيْسَتْ نَقْصًا فِي الْمَعْرِفَةِ أَوْ الْحُجْجِ الْمُفْنِعَةِ لِمَعْرِفَةِ وُجُودِ اللَّهِ، إِنَّمَا مُشْكَلَتُكُمْ أَنَّكُمْ تَكْرَهُونَهُ وَمَا تَحْتَاجُونَهُ هُوَ الْمَصَالِحَةُ مَعَهُ". نَعَمْ، لَمْ يَسْتَحْسِنُوا مَا قُلْتُهُ. كَانُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلتَّنْكِيلِ بِي. "كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى اتِّهَامِنَا بِكَرَاهِيَةِ اللَّهِ؟" حَسَنًا، إِذَا خَرَجْتُمْ وَسَأَلْتُمُ النَّاسَ فِي الشَّارِعِ: "هَلْ تَكْرَهُونَ اللَّهَ؟" لَنْ تَجِدَ أَبَدًا إِنْسَانًا يَقُولُ: "نَعَمْ، أَنَا أَكْرَهُهُ". وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ إِنَّنَا نَكْرَهُهُ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا بِالطَّبِيعَةِ فِي حَالَةِ اغْتِرَابٍ، وَالتَّشْبِيهِ الْمُسْتَعْدَمِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ تَشْبِيهُ حَالَةِ الْحَرْبِ؛ فَالْحَرْبُ لَيْسَتْ شَيْئًا جَمِيلًا.

فَنَحْنُ نَحْيَا أَرْمِنَةَ عَنيفَةً وَنَعْرِفُ وَيَلَاتِ الْحَرْبِ. إِذْ بَانْتِهَاءِ أَيِّ حَرْبٍ، نَرَاهَا مُنَاسِبَةً سَعِيدَةً. فَأَنَا أَتَذَكَّرُ جَيِّدًا، كَمَا لَوْ أَنَّهُ بِالْأَمْسِ، أَحَدَ أَيَّامِ صَيْفِ سَنَةِ ١٩٤٥ حِينَمَا كُنْتُ أَسْكُنُ لِبَعْضِ الْوَقْتِ فِي شِيكَاغُو. كَانَ وَالِدِي يُحَارِبُ فِي السَّاحَةِ الْأُورُوبِيَّةِ، وَعِنْدَمَا انْتَهَى الصِّرَاعُ، عَادَ لِإِنْتِهَاءِ خِدْمَتِهِ فِي الْجَيْشِ، لَكِنَّ الْحَرْبَ فِي الْيَابَانِ كَانَتْ لَا تَزَالُ مُسْتَعْرَةً. وَكُنْتُ أَلْعَبُ كُرَةَ الْعَصَا فِي الشَّارِعِ فِي شِيكَاغُو حَيْثُ لَعَبْنَا هَذِهِ اللَّعْبَةَ الْبَسِيطَةَ وَلَكِنِّي فِي أَثْنَاءِ مُبَارَاةٍ ذَلِكَ الْيَوْمِ، كُنْتُ أَسْتَعِدُّ لِضَرْبِ الْكُرَةِ وَفَجْأَةً انْفَجَرَتْ صَوْضَاءٌ وَصَجِيحٌ، خَرَجَتِ النَّسَاءُ مِنْ مَسَاكِينِهِنَّ بِالْقُدُورِ وَالْمَقَالِي يَقْرَعْنَ عَلَيْهَا بِنَشَازٍ طَوِيلًا. كُنْتُ أَجْهَلُ تَمَامًا مَا كَانَ يَجْرِي، وَكُنْتُ جَمِيعُهُنَّ يَصْحَنُ: "لَقَدْ انْتَهَتْ! لَقَدْ انْتَهَتْ!" لَقَدْ انْتَهَتْ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الثَّانِيَّةُ، وَمَا زِلْتُ أَتَذَكَّرُ الْبَهْجَةَ الَّتِي عَمَّتِ الْأَجْوَاءَ بِإِعْلَانِ السَّلَامِ.

لَكِنَّ مُعَاهَدَاتِ السَّلَامِ لَا تَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ. مُعَاهَدَاتُ السَّلَامِ وَقَعَتْ لِثُنْتَهَكَ. وَأَتَذَكَّرُ أَيْضًا بَعْدَ عَامِ ١٩٤٥ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ إِلَى عَامِ ١٩٤٨ وَأَقُولُ لَكُمْ عَنِ الْفَرْعِ الَّذِي عَشْتُهُ خِلَالَ الْحَرْبِ الْبَارِدَةِ إِذْ كُنَّا كَأَطْفَالٍ، كَمَا تَعْلَمُونَ، نَتَدَرَّبُ فِي الْمَدْرَسَةِ كُلِّ أُسْبُوعٍ عَمَّا يَجِبُ الْقِيَامُ بِهِ فِي حَالَةِ وَقُوعِ هُجُومِ نَوَوِيِّ بِسَبَبِ امْتِلَاكِ رُوسِيَا الْقُنْبُلَةَ الذَّرِيَّةِ، ذَلِكَ السَّيْفُ الْمُسَلَّطُ عَلَى رِقَابِنَا، وَكَانَتْ تُطَارِدُنَا فِكْرُهُ أَنَّ كُنَّا عَلَى شَفَا حَرْبٍ عَالَمِيَّةٍ ثَالِثَةٍ.

لَكِنِّي عِنْدَمَا يُعْلِنُ اللَّهُ السَّلَامَ وَيَعْقِدُ مُعَاهَدَتَهُ، يَصْمُتُ صَلِيلُ السُّيُوفِ. يَنْتَهِي كُلُّ حَظَرٍ هُجُومٍ أَوْ حَادِثَةٍ أُخْرَى قَدْ تُشْعِلُ نِيرَانَ الصِّرَاعِ مَرَّةً أُخْرَى. ذَكَرْتُ إِزْمِيًا عَنْ أَنْبِيَاءِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الْكَذْبَةَ قَوْلَهُمْ: سَلَامٌ، سَلَامٌ، وَلَا سَلَامَ. وَتَحَدَّثَتْ لَوْتُرُ عَنْ سَلَامِ جَسَدِيٍّ، سَلَامِ شَفْهِئِي بَعِيدٍ عَنِ أَرْضِ الْوَأَقِيعِ. وَلَكِنِّي بِمُجَرَّدِ تَبْرِيرِنَا، تَكُونُ التَّتِيجَةُ الْأُولَى لِذَلِكَ هِيَ السَّلَامُ مَعَ اللَّهِ. فَقَدْ انْتَهَتْ الْحَرْبُ. لَمْ يَعِدِ اللَّهُ فِي عِدَاوَةِ مَعَنَا، وَلَمْ نَعُدْ نَحْنُ فِي الْمُقَابِلِ فِي عِدَاوَةٍ مَعَهُ. انْتَهَى الْإِعْتِرَابُ، وَنَحْنُ مُتَصَالِحُونَ الْآنَ وَإِلَى الْأَبَدِ.

تتدُر مناقشة هذا الأمر اليوم حتى بين المسيحيين، كم هو مهم أن نكون في سلام مع الله. لنا سلام رئيس السلام. أتتدكرون وصية ربنا عند موته لرسله؟ إذ قال لهم في وصيته الأخيرة: "سلامًا أترك لكم. سلامي أعطيكُم. ليس كما يعطي العالم أعطيكُم أنا. لا تضطرب قلوبكُم ولا ترهب". وقال لوتر إن الوثني يترجف من حفيف الورقة لأنه في عداوته لله يخشى غضبه. مرة أخرى، سأضيف إلى ذلك أن من خلصنا منه هو الله ذاته. الخلاص أولاً وقبل كل شيء هو خلاص من الله. إنه، نعم، بالله، لكنه من الله أيضًا. خلاص من غضب الله. فمن دينونة الله افتدينا ولأننا تصالحنا ولأننا نتمتع بالسلام، ليس لدينا ما يخيفنا من غضب الله الذي يعدُّ أكثر ما يخيف أي إنسان على الإطلاق.

حقًا، عقب المصالحة، يقول بولس هنا: "لنا سلام مع الله برّبنا يسوع المسيح، الذي به أيضًا قد صار لنا الدخول بالإيمان، إلى هذه التعمّة التي نحن فيها مقيمون". فالنتيجة الثانية، هي الدخول. إنه ليس مجرد الدخول إلى نعمته، ولكنه الدخول إلى محضره. لعلكم تتدكرون أن عقوبة آدم وحواء كانت الطرد من جنة عدن. فاضطرًا للعيش باتجاه مشرقها، وأقام الله كارويميا بسيف ملتهب عند مدخل الجنة، لماذا؟ ليمنع آدم وحواء من العودة إلى محضر الله، لكن الآن هذا السيف الملهب قد رفع. وأنشق حجاب الهيكل، ولنا الآن دخول إلى محضر الله ذاته. لنا دخول الأبناء المتبنيين إلى عائلة الله.

هذا هو الجانب العظيم الذي يتضمّنه التبرير، التبيّن إلى عائلة الله كي ندعوه كلنا "آبانا". وبالنسبة إلى المؤمن، تدعوه كلمة الله إلى الإقتراب أكثر. فهذه هي الحياة المسيحية، الإقتراب قدر المستطاع من الله. لقد أزيلت الحواجز. نحن مدعوون الآن إلى التقدّم بثقة، لا بعزورٍ بالطبع. فالأمر ليس نزهة عابرة في حديقة للتقدّم إلى محضر الله. يدعونا الكتاب المقدس إلى إعداد أنفسنا للتقدّم إلى محضر الله، مع العلم أيضًا بأن الله حاضر في كل مكان ولكن له تجليات خاصة لمحضره.

أول هذه التجليات الخاصة لمحضره هو في بيته، الكنيسة. أتعجب صراحة من الملابس التي يرتديها الناس اليوم عندما يذهبون إلى الكنيسة، كما لو أنهم يحضرون مباراة يبسبول أو ذاهبون إلى الشاطئ، وبدأت أقول لنفسني: "تخيّل لو كان هذا الإنسان مدعواً إلى عشاءٍ رئاسي في البيت الأبيض لما فكر في المجيء مرتدياً مثل هذه الملابس، والوقوف في محضر الرئيس". أيًا كان رأيك في الرئيس، فإن المنصب مكرّم للغاية لدرجة أننا في ثقافتنا وفي آية ثقافة يعلم الناس أننا في أوقات خاصة ومناسبات خاصة، وفي لحظات مقدّسة نرتدي ملابس مناسبة. بإقترابنا إلى الله، ندخل إلى محضر القدوس الذي طردنا منه ومنعنا من الدخول إليه.

لِذَا كَلَّمَا نَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ، يَنْبَغِي أَنْ نَسْتَعِدَّ لِلدُّخُولِ بِرُوحِ الْمَخَافَةِ، بِرُوحِ الْإِكْرَامِ، بِرُوحِ الْفَرَحِ، بِرُوحِ الرَّاحَةِ عَالِمِينَ أَنَّ الْحَرْبَ قَدْ انْتَهَتْ وَنَحْنُ الْآنَ فِي سَلَامٍ مَعَهُ. أَوْدُ إِضَافَةً إِلَى مَا سَبَقَ، الْمَفْهُومَ الْكِتَابِيِّ الْآخَرَ فِي النَّصِّ أَنَّهُ فِي تَبْرِيرِنَا وَتَبِيلِنَا هَذَا الدُّخُولَ إِلَى النِّعْمَةِ حَيْثُ يُمَكِّنُنَا الْإِقْتِرَابَ، نَقْتَرِبُ مِنَ الْمَسِيحِ. نَدْخُلُ لِأَنَّهُ قَدْ احْتَسَبَ بِرَّهَ لَنَا، فَتَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ الدُّخُولَ مِنْ دَوَاتِنَا إِلَى مُحَضَّرِ اللَّهِ، بَلْ فَادِينَا هُوَ مَنْ يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ. رَبُّمَا قَدْ تَعَلَّمْتُمْ سَابِقًا فِي فُصُولِ اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ جَمِيعَ التَّفَاصِيلِ، فَكَمَا تَعَلَّمُونَ، فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ حَرْفًا جَرَّ بِسَيْطَانٍ وَهُمَا حَرْفُ الْجَرِّ "eis" وَحَرْفُ الْجَرِّ "en" وَلَكِنْ مَا الْفَرْقُ حِينَ يَأْمُرُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنْ نُؤْمِنَ بِالْمَسِيحِ، وَأَنْ يَأْمُرَنَا بِالْإِيمَانِ فِيهِ."

فَلِكَيْ نَكُونَ فِي هَذِهِ الْعُرْفَةِ الْآنَ، نَحْنُ دَاخِلُ الْعُرْفَةِ وَلَكِنْ لِكَيْ نَدْخُلَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ، لَزِمَ عَلَيْنَا عُبُورُ هَذَا الْبَابِ وَعِنْدَمَا كُنَّا عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنْهُ، لَمْ نَكُنْ هُنَا، كَانْ عَلَيْنَا التَّحَرُّكُ. كَانْ عَلَيْنَا الْإِنْتِقَالَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى هُنَا، وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ فِي الْيُونَانِيَّةِ تَسْتَعِدُّ حَرْفَ الْجَرِّ "eis"، فَأَنْتَ تَنْتَقِلُ إِلَى دَاخِلِ شَيْءٍ مَا وَنَحْنُ مَدْعُوعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ بِتَبْرِيرِنَا. لِأَنَّهُ حِينَ نُؤْمِنُ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ، مَاذَا يَحْدُثُ؟ نَحْنُ الْآنَ، كَمَا قَالَ بُولُسُ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا، فِي الْمَسِيحِ، "en Christo". نَحْنُ فِي الْمَسِيحِ وَالْمَسِيحُ فِيْنَا. وَهَذَا جُزْءٌ مِنَ التَّيْبِجَةِ الْعُظْمَى لِتَبْرِيرِنَا. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ تَبَرَّرَ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْخَارِجِ إِلَى الدَّخْلِ، لِتَكُونَ فِي الْمَسِيحِ. أَنَا فِي الْمَسِيحِ وَإِذَا كُنْتُ أَنْتَ مُؤْمِنًا، فَأَنْتَ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ، وَهَذَا يُجَدِّدُ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ نُعَامَلَ بَعْضُنَا بَعْضًا لِأَنَّهُ كَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَكْرَهُ شَخْصًا فِي الْمَسِيحِ إِذَا كُنْتُ أَنَا فِي الْمَسِيحِ؟ كَيْفَ نَكْرَهُ بَعْضُنَا بَعْضًا؟ لَقَدْ نَلْنَا الْمَقْدِرَةَ عَلَى مَحَبَّةٍ بَعْضُنَا بَعْضًا لِأَنَّنا مَعًا تَبَرَّرْنَا وَجَلِبْنَا إِلَى هَذِهِ الْعَائِلَةِ، فَأَنَا فِي الرَّبِّ يَسُوعَ، وَهُوَ فِيَّ، وَأَنْتَ فِيهِ، وَهُوَ فِيكَ.

فَلَا عَجَبَ مِنْ أَنَّهُ عِنْدَمَا آمَنَ بُولُسُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى دِمَشْقَ عِنْدَمَا كَلَّمَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: "سَأُولُ، سَأُولُ! لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟" فَبُولُسُ لَمْ يَعْرِفِ الرَّبَّ يَسُوعَ قَبْلًا. لَمْ يُقَابِلْهُ قَبْلًا. لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ رَأَى الرَّبَّ يَسُوعَ، لَكِنَّهُ كَانْ مُلْتَزِمًا بِشِدَّةٍ بِتَدْمِيرِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، وَلِذَا يَقُولُ الرَّبُّ يَسُوعَ: "أَنْتَ تَضْطَهْدُ شِعْبِي، أَنْتَ تَضْطَهْدُ كَنِيسَتِي، أَنْتَ تَضْطَهْدُنِي لِأَنِّي أَنَا فِيهِمْ وَهُمْ فِيَّ". نَحْنُ فِي اتِّحَادٍ بَيْنَنَا وَفِينَا، الْإِتِّحَادُ، مَرَّةً أُخْرَى، الَّذِي هُوَ إِحْدَى نَتَائِجِ تَبْرِيرِنَا.

ثُمَّ يُكْمِلُ بُولُسُ لِيَقُولَ: "الَّذِي بِهِ أَيْضًا قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالْإِيمَانِ، إِلَى هَذِهِ التَّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللَّهِ". قَدْ نَسْتَعْرِقُ سِتَّةَ أَسَابِيعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمُقَرَّدِهَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ مَاذَا يَعْنِي "نَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ"؟ يَتَحَدَّثُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ عَنِ الرَّجَاءِ طَوَالَ الْوَقْتِ؛ بِالْإِيمَانِ وَالتَّبْرِيرِ يَأْتِي الرَّجَاءُ، وَهَذَا أَمْرٌ يَضَعُبُ الْخُصُولَ عَلَيْهِ لِأَنَّ فِي تَفَاقِتِنَا الْمَعْنَى الَّذِي نَقْصِدُ بِهِ الرَّجَاءَ، يَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا جَدْرِيًّا عَنِ مَعْنَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. مَا نَقْصِدُهُ نَحْنُ بِالرَّجَاءِ: مَا لَسْنَا مُتَأَكِّدِينَ مِنْهُ، لَا نَعْرِفُ مَاذَا سَتَكُونُ نَتِيجَةُ مَبَارَاةِ كُرَّةِ الْقَدَمِ أَوْ نَتِيجَةُ اخْتِبَارَاتِنَا النِّهَائِيَّةِ. حِينَ أَقُولُ: "مَاذَا فَعَلْتَ فِي الْإِخْتِبَارَاتِ النِّهَائِيَّةِ؟" أَنْتَ تَقُولُ: "أَرْجُو أَنْ أَجْتَازَهَا، أَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ جَاوَبْتُ

صَحِيحًا". فَأَنْتَ لَسْتَ مُتَأَكِّدًا، أَنْتَ لَا تَعْرِفُ، أَنْتَ لَا تُشْعُرُ بِالْيَقِينِ. فِي الْحَقِيقَةِ أَنْتَ خَائِفٌ. بَيْنَمَا الرَّجَاءُ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ بَعِيدٌ عَنِ الشُّعُورِ الْمُرتَبِطِ بِالرَّغْبَةِ أَوْ التَّمَنِّيِّ. إِنَّهُ يَقِينٌ مِنْ جِهَةِ مَا سَيَأْتِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْمَوْعُودِ بِهِ فِي الْمَاضِي أَوْ فِي الْحَاضِرِ. لِهَذَا أُطْلِقُ عَلَيْهِ مَرَسَاةَ التَّنْفِيسِ، إِذْ يَمْنَحُ اسْتِقْرَارًا لِلْمُؤْمِنِ. فَهُوَ الرَّجَاءُ الَّذِي يَطْمَحُ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ. هُوَ الثِّقَةُ فِي أَنَّ اللَّهَ سَيُحَقِّقُ مَا قَالَ إِنَّهُ سَيَفْعَلُهُ. وَهَكَذَا مَعَ إِيْمَانِنَا وَتَبَرِيرِنَا يَأْتِي هَذَا الرَّجَاءُ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ رَجَاءُ الْمَجْدِ.

كُلُّ مَا أُرِيدُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ هُوَ رُؤْيُهُ اسْتِعْلَانِ بَهَاءِ مَجْدِ اللَّهِ بِوَجْهِهِ مَكْشُوفِ. أَيْمُنْكُمْ تَحْيُلُ كَيْفَ سَيَبْدُو النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الْمَسِيحِ فِي الْمَلَكُوتِ، الرُّؤْيَةُ الطُّوبَاوِيَّةُ، رُؤْيَةُ اللَّهِ، رُؤْيَتُهُ كَمَا هُوَ فِي مَجْدِهِ، لِتَسْرِبَلِ بِمَجْدِ اللَّهِ؟ نَحْنُ لَنَا هَذَا الرَّجَاءُ، الرَّجَاءُ، الَّذِي يَقُولُ عَنْهُ بُولُسُ، لَا يُخْزِينَا. وَلَنْ نَسْتَجِي بِهِ، لِأَنَّهُ رَجَاءٌ لَا يَفْنَى. رَجَاءٌ يَمْنَحُنَا سَبَابَ تَقْدِيسِنَا لِأَنَّنا نُنْتَمُّ حَلَاصِنَا بِخَوْفٍ وَرَعْدَةٍ، وَلَيْسَ كَمَنْ هُمْ بِلَا رَجَاءٍ، كَمَنْ يُجَاوِلُونَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا أَكْثَرَ بِصُورَةِ الْمَسِيحِ، وَلَكِنَّ هَذَا لَنْ يَتَحَقَّقَ. لَا، لَا، لَا، نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا سَيَتَحَقَّقُ.

يَتَحَقَّقُ تَقْدِيسِنَا عَلَى أَسَاسِ يَقِينِ تَبَرِيرِنَا. لِذَا قَالَ بَطْرُسُ: "اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ ثَابِتِينَ". فَتَحَلُّوا بِيَقِينِ خَلَاصِكُمْ حَتَّى تَصِيرُوا عَلَى صُورَتِهِ فِي حَيَاةِ تَقْدِيسِكُمْ. مَرَّةً أُخْرَى، مِنْ نَتَائِجِ تَبَرِيرِنَا أَيْضًا، عَمَلِيَّةُ تَقْدِيسِنَا، فَمِنْ الْمُهَمِّ لِلْعَايَةِ فَهْمُ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ التَّبَرِيرِ وَالتَّقْدِيسِ. وَمِنْ هُنَا يَنْبُغُ الْجِدَالُ، عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، فِي رِسَالَةِ يَعْقُوبَ إِذْ يَبْدُو أَنَّهُ يُنَاقِضُ التَّبَرِيرَ بِالْإِيمَانِ وَحَدَهُ الَّذِي يُعَلِّمُ بِهِ بُولُسُ. لَكِنَّ مَا يَجْرِي هُنَا هُوَ نِقَاشٌ بَيْنَ عِلَاقَةِ التَّبَرِيرِ وَالتَّقْدِيسِ، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْمَحَاضِرَةِ التَّالِيَةِ سَنَتَمَعُّنُ فِي تِلْكَ الْعِلَاقَةِ الَّتِي أَفْرَدَهَا يَعْقُوبُ وَالَّتِي عَلَّمَهَا بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رُومِيَّةٍ وَتَمَعَّنَا فِيهَا.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيَرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيسِ أَنْدْرُو ( St. Andrews Chapel ) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدَ بِوِلَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كَلْنَا لَاهَوْتِيُونَ" و"أَدَهَشَنِي الْأَلَمُ".